

تفسير أبي السعود

191 - آل عمران التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح

والسحاب لما أن المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك وأما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالألوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فإن ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما أنه آيات ألوهيته ووحدته .

لأولى الأبواب أي لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المنابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين إلى شيء مما سواه إلا من حيث إنه مرآة لمشاهدة جماله وآله لملاحظة صفات كماله فإن كل ما ظهر في مظاهر الإبداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوى إلى عالم التوحيد ودليل قوى على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع ومخبر بأنباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى بألفاظ إشارة مراعى في الحوار وإبهامهم وتصريحهم وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشئون والأسرار إن في ذلك لعبرة لأولى البصائر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال هل لك يا عائشة أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله ﷺ أنى لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قرية من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن وجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقوية ثم جلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه يبكى حتى رأى دموعه قد بليت الأرض فأثاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يا رسول الله ﷺ أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى على في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي عليه السلام أن النبي كان إذا قام من الليل يتسول ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض

الذين يذكرون الله ﷻ الموصول إما موصول بأولى الأبواب مجرور على أنه نعت كاشف له بما في

حيز الصلة وإما مفصول عنه مرفوع أو منصوب على المدح أو مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف
وقيل هو مرفوع على الإبتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك
النظم الجليل مالا يخفى وأيا ما ما كان فقد أشير بما في حيز صلته أن